أيام قرطاج المسرحيّة 2026

النّدوة الفكرية

الورقة العلمية

منظومات التمويل والإنتاج وأثرها في قيام حياة مسرحية فعلية:

مساراتها في العالم وواقِعها في البلدان العربية والإفريقية

الكلامُ عن المسرح وفِيهِ أمرٌ لا غِنى عنه لهذا الفنِّ ولأصحابِه والمعنِيّين به؛ لأنّ في ذلك تذكيرًا بوجوده وسَعْيًا للإقرار له بمعناه. هو ضرورِيّ لصنّاع المسرح وممارسيه، فوَرَاء ذلك تطلّعٌ دائمٌ إلى الإقرار بمشروعيّةِ قيامِه بين النّاس وعمَلٌ متّصِلٌ على الإقناع بالحاجة إليه.

وطبيعِيٌّ أن تتعدّد مواضيعُ الكلام فيه تعَدُّدَ تجلّياتِه ومساراتِه وتعدُّدَ قضاياه وإشكالاتِه؛ وطبيعِيّ أن تختلف صيغُ هذا الكلام وأشكالُه وتتنوّعُ باعتبار طبيعة الخائضين فيه والمُسهمين. وطبيعِيٌّ أن تلتقي الآراء وتتعارَضُ باعتبار تعدُّدِ المنطلقات ووِجهات النّظر واختلافِ الشواغل الفكريّة والسياسيّة التي تشُقّه وتنحتُ كيانَه.

وفي المسرحِ ونتاجاتِه ما يدعو إلى هذا كلّه. هو فنّ المُفارقات، فنّ الجوهر وفَنُّ العَرَضِ، هو فنٌّ يحتفي بالزّائل ويسعى إليه، وهو، في الآن ذاته، فنٌّ تراكَمَتْ نتاجاتُه وتجاربُ صُنّاعِهِ عبْر العصور فبدا متّصلَ الحضورِ يبغي الخلود. هو فنُّ الفرد الواحد في أعماق عزلته يسعى إليها ويرنو إلى الكشف عن أسرارها وعمّا عليه تقوم؛ وهو فن الجماعة تتظافر الجهودُ والقدرات وتتآزر حتى يكون. وهو فنّ قائم بذاته متّصل الحضور وهو مترامي الأطراف يسَع كل الفنون هو ملتقاها منه تنبع وإليه تعود وعليه تتمرد وتثور.

لئن كانت هذه هي وجوه المسرح وتجلّياته على مستوى الخطاب فإنّ ذلك لا يمنع من الإقرار بأنّ المسرح لا يكون ما لم تقُم "حياة مسرحية" فعليّة يكتمل في إطارها "الفعل المسرحيّ" الذي من دونه يفقد المسرح بمختلف تجلّياته وامتداداتها معناه وجدواه. و"اكتمال الفِعل المسرحِيّ" هو، ببساطة، تحقُّقُ لقاءٍ حيٍّ إراديٍّ مرغوبٍ فيه ومُشتهى في مكانٍ بذاته ... بين فنانين وجمهور حَوْل مُقتَرحٍ تخْيِيلِيّ هو العرض المسرَحِيّ"[1].

ولقد قَلَّب الباحثون النّظَرَ في قضايا جمهور المسرح، وتبيَّن أنّ هذا الأمر ليس مُرتَبِطًا بمدى حضوره ضمن شواغل صنّاع الفرجة المسرحية، فحسب، وإنّما هو وثيق الصِّلة بالموقع الذي يحتلّه في المؤسّسة التي تحتضن هذا الفن وتدعو إليه في مُجملها.

ولئن أجمع المتدخّلون، على صعيد الخطاب، حول الأهميّة التي يجب أن تحظى بها مسألة الجمهور في عمل صنّاع الفرجة والمؤسّسات التي تحتضن أعمالهم وتعمل على ترويجها، فإنّ ذلك لم يحجب الفوارق

[1] جمهور المسرح، اليوم، الورقة العلمية للندوة الفكرية الدولية المنعَقِدة في إطار الدورة 24 لأيام قرطاج المسرحية.

الشاسعة بين طبيعة تعامل المؤسّسات المسرحية، على الصعيد العملِي مع هذا الأمر من بلد إلى آخر. فبينما اقتصر المعنيون بالمسرح في عدد من البلدان أو كادوا على الدعوات إلى الاهتمام بالأمر والإلحاح على موقعه الجوهريّ في بناء مسرح وطنِيّ قامت، في بلدان أخرى، شأن ألمانيا، مثلا، مؤسّسات إحصاء تتابِع متابعة دقيقة مسارات تدفّق المتفرّجين وتنمّطُهم تنميطًا يأخذ بعين الاعتبار سماتهم المُميّزة وأنواع العروض وظروفها وتَعْمَد إلى نشرِ نتائجها بشكل دورِيّ[2]. وبيّن أنّ من شأن هذه الإحصائيّات النوعية أن تكشف من المعلومات ما يسمح بتجاوز الكلام العام ويُنير المؤسّسات المسرحية والعاملين فيها ويساعِدُهم في توجيه اختياراتهم للإسهام في ضمان حياة مسرحية فعليّة.

والناظر في مثل هذه الإحصائيّات يتأكّد من أهمّيّة دور المؤسّسة المسرحية العمومية وموقعها المركزيّ في عملية ضبط مسارات المسرح والحياة المسرحية، من ناحية، ويتجلّى له، من ناحية أخرى، الدور الأساسي الذي يلعبُه التمويل العمومِيّ المباشر أو غير المباشر في قيام المسرح وتحقيق "حياة مسرحية". وهو ما دفعنا إلى الدعوة إلى النظر في منظومات التمويل العمومِيّ للمسرح ودورها في قيام حياة مسرحية يجد فيها المسرح معناه.

والتركيز على التمويل العمومِيّ مأتاه ما تجلّى له من ثقل لا يضاهيه أيّ تمويل آخر منذ أقدم العصور وفي مختلف البلدان التي عرِفَت ثقافتُها هذا الفنّ مهما اختلفت أنظمتُها السياسية والاقتصادية وتنافرت فلسفاتُ الحكم فيها وتعارضت. ثم إنّ التمويل الخاصّ هو، في حقيقته، تمويلٌ عمومِيٌّ غيرُ مباشر لأنّه مقتطع – بصورة من الصّور- من الضرائب المفروض دخولها للخزينة العموميّة.

لكنَّ هذا التمويل العمومِيّ المباشر وغير المباشر الذي أقررنا بحضوره الغالب لا يُدار بنفس الطريقة ولا يقوم على الرؤية ذاتها لهذا الفن وممارسته وللعاملين فيه ولا يخضع لنفس المنطق في التسيير والحوكمة. ولهذا تكلّمنا عن "منظومات تمويل" تتجلّى من خلال كلّ واحدة منها مواصفاتُ المؤسّسة المسرحيّة القائمة والمنشودة وتتحدّدُ الأطرُ الضابطة لحراك الفاعلين في هذا الفن وترتسم الرهانات الكامِنة فيه.

وهذه المنظومات هي في أغلبها وليدة مسارات في الممارسة المسرحية في صلة وثيقة بالمنظومات الثقافية والاجتماعية والسياسيّة ومتفاعلة مع الثابتِ فيها والمتحوّلِ. ومهما كانت طبيعةُ اختلاف هذه المنظومات فإنّها تلتقي كلُّها حوْل مسعى تحقيق "اكتمال الفعل المسرحي" وبناء "حياة مسرحية" تُنزّل المسرحَ منزلةَ ما هو بمثابة الحاجةِ التي يسعى إليها المواطن.

فمِن المفيد، بناءً على هذا، أن ننظر في نماذج من منظوماتِ التمويلِ العموميّ للمسرح في البلدان الغربيّة والآسيوية ونقف على المسالك القائمة فيها لبناء "الحياة المسرحية" ونطّلع على مواقع الجدل فيها. ولعل النّظر فيها يمرّ عبر مساءلة منطق التمويل وآلياته ولاسيّما من خلال تحديد:

[2] ينشر الاتحاد الألماني للمسارح (Deutscher Bühnenverein) ، مثلًا، سنويًّا الإحصاءات المسرحية الشاملة (Theaterstatistik) وإحصاءات الأعمال (Werkstatistik)بالتعاون مع مجلة «Die Deutsche Bühne» وتُقدِّم هذه الإحصاءات تفاصيل عن العدد الدقيق للمتفرّجين ونوع العروض، وإيرادات المسارح العامة والخاصة. (بلغ عدد المشاهدين، في موسم 2025 ما يناهز 25,3 مليون مُشاهِدًا)

- جهات التمويل المتوفّرة: خزينة الدولة المركزيّة؟ الوزارات؟ الأقاليم؟ البلديات؟ ماهي نِسَبُها إذا كانت مُعتمدة كلها أو عدد منها؟
- ما هي العناصر التي على أساسها يتم التمويل؟ ومن يأخذ القرار في هذا التمويل وقدره؟
- مَنْ يتلقّى التمويل؟ وكيف؟ هل هي الفِرَق؟ أو المسارح؟ أو شركات الإنتاج؟ أو الفنانون أصحاب المشاريع؟
- ما هو انعكاس طبيعة التمويل على المهن الدرامية وحياة أصحابها
- كيفيّة ربط التمويل بمسألة التوزيع وإقبال الجمهور: دعم ثمن تذكرة المتفرّج؟ أو دعم الإنتاج؟ أو الربط بينهما؟
- مسالك الحَوْكَمة وآليّاتُها والأسسُ التي تقوم عليها.

ومن المشروع أن نتساءل عن طبيعة منظومات التمويل العمومِيّ المباشر وغير المباشر للمسرح القائمة في الأقطار العربية والبلدان الإفريقية ونسائل المنطق الذي تقوم عليه هذه المنظومات من خلال النظر في العناصر التي أشرنا إليها في خصوص المنظومات الغرْبِيّة متسائلين عن مدى سعيها إلى تحقيق "حياة مسرحية فعليّة" وعن المسالك المتّبعة لتحقيقها.

محاور النّدوة الأساسيّة والفرعية:

1- منظومات التمويل العمومِيّ المباشر وغير المباشر في البلدان الغَرْبِيّة والآسيوية ومسالك تحقيق اكتمال الفعل المسرحي وبناء حياة مسرحية، الواقِع والإشكالات

1-1 التعريف بما تقوم عليه منظومات التمويل في البلدان الغربيّة

المنتظر: مداخلات حول منظومات البلدان الآتي ذِكْرُها بشكل مُفردٍ أو من خلال بحث مقارن بين منظومتيْن أو أكثر. (قائمة منظومات البلدان التالية أوردناها باعتبارها نماذج ذات خصوصية، لكنْ يبقى ذلك على سبيل المثال لا الحصر):

- منظومات التمويل:

في **ألمانيا؛** في **فرنسا؛** في البلدان **الإسكندنافية؛** في **روسيا؛** في **المملكة المتحدة؛** في **هونغ كونغ،** في **الهند؛** في **الولايات المتحدة الأمريكية**...

1-2 الواقع والإشكالات:

التمويل العمومي والاستقلالية الفنية والفكريّة في البلدان الغربيّة:

- هل يُفضي التمويل العمومي إلى رقابةٍ ناعمة أو إلى توجيهٍ غير معلن لخيارات المبدعين؟

- آليات التعامل وأدواته

2 منظومات التمويل العمومِيّ المباشر وغير المباشر في البلدان العَرَبِيّة والإفريقية ومسالك تحقيق اكتمال الفعل المسرحي وبناء حياة مسرحية:

2-1 **المنتظر**: مداخلات تُعرّف بمنظومات التمويل في الأقطار العربية باعتبار عناصر المنهج المعتمد في التعريف بالمنظومات الغربية، مع بيان نسبة الأموال المرصودة للمجال الثقافي عامة والمسرحِيّ، خاصة، من الميزانية العامة، وآليات التصرّف فيه.

2-2 **المنتظر**: مداخلات تُعرّف منظومات التمويل في البلدان الإفريقية باعتبار المنهج المعتمد في التعريف بالمنظومات الغربية مع بيان نسبة الأموال المرصودة للمجال الثقافي عامة والمسرحِيّ، خاصة، من الميزانية العامة، وآليات التصرّف فيه.

3 الرهانات الحاضرة والغائبة والإشكالات القائمة في تحقيق حياة مسرحية على الصعيدين العربي والإفريقيّ:

3-1 **المُنظّمات الإقليمية والجهوية العربيّة والإفريقية** ودورها في دعم منظومات تمويل الإنتاج المسرحيّ وتسهيل تنقّل الأعمال المسرحية خارج أقطارها.

3-2 **الهَيْئات غير الحكومية** ودورُها في تمويل الإنتاج المسرحيّ وتسهيل تنقّل الأعمال المسرحية خارجَ أقطارها، على ضوء ما هو قائم منها في الفضاء الأوروبّيّ

ومن نافِل القول التذكيرُ بأنّ تطلّعنا من هذه النّدوة هو إقامة حوار منتِجٍ بين الباحثين والمهنِيّين فنّانين ومنتجين وموزّعين والعاملين في الحقل الثقافي عامة. ولا يمكن أن يكون كذلك إنْ لم يرتكز على بحوث تنطلق من معطيات دقيقة وتعتمد مناهج تحليل عميقة.

مدير النّدوة

محمد المديوني